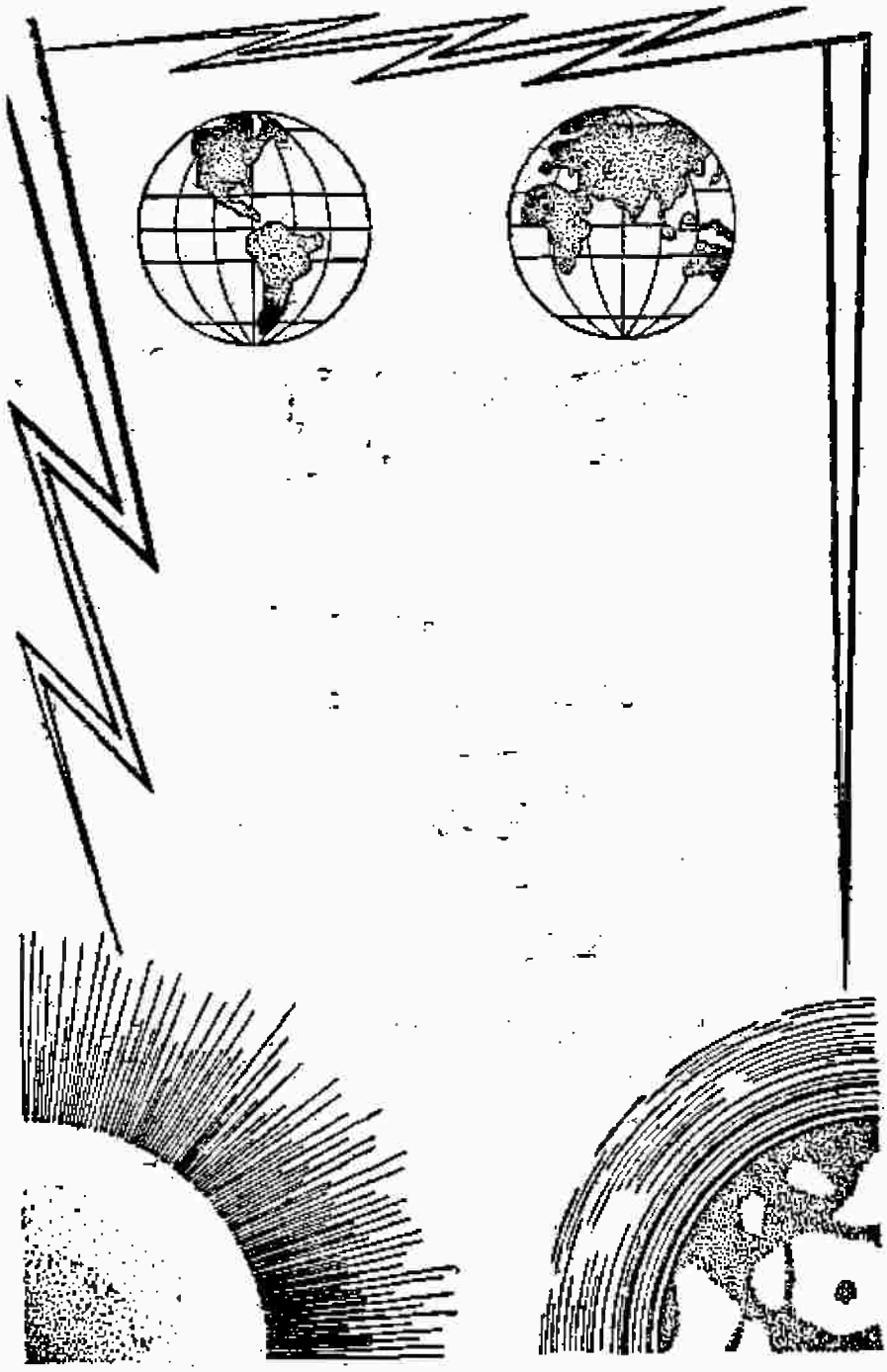

المانيا بعد غليوم

من الجمهورية الى الوطنية الاشتراكية

اجتمع ممثلو الحلفاء في فرساي واذ كانوا مكبّين على وضع المعاهدة التي تسحق المانيا وتصمها بوصمة الاجرام بتحميلها تبعة الحرب الكبرى وتجريدها من المستعمرات والسلاح، كان الشعب الالماني، او بالحري ممثلوهُ يشتغلون بوضع الاساس الذي تقوم عليهِ المانيا الجديدة. فالجمعية التأسيسية الالمانية، اجتمعت في فيمار في ٦ فبراير سنة ١٩١٩، وفيمار بلدة اقترنت باسم الشاعر الالماني المعظيم غوته وامجاد الادب الالماني، كما اقترنت بلدة ستراتفورد اون افون باسم شكسبير وامجاد الادب الانكليزي ومعرّة النعمان باسم شاعرنا الفيلسوف ابي العلاء. فلما اجتمعت الجمعية التأسيسية لقيت سبيلها حافلاً بالعقبات. كانت الحركة الشيوعية قد صدّت ولكن شأفتها لم تستأصل. وكان زعماء السبارتاكيين لا يزالون يطالبون بتحويل المانيا الى دولة شيوعية. اما دويلات الجنوب في المانيا، فكانت تثيرها الغيرة من بروسيا، ولذلك كانت قد وطّنت العزم على ان تحول في الدستور الجديد، بين بروسيا ومقام السيادة والتفوق في بناء الزمخ الثاني. اما حزب الحكومة القائمة فكان بزعامة الهر ايبرت، وكان مقاوماً للشيوعية — اي للسبارتاكيين — راغباً في تعزيز مكانة بروسيا. ولولا نشر مواد معاهدة فرساي القاصمة للظهر، لافضى الاختلاف في الرأي بين اعضاء الجمعية التأسيسية الى مأزق لا يعرف كيف الخروج منهُ، ولكن لما نشرت معاهدة فرساي، التفّت جميع الاحزاب على اختلاف نزعاتها حول الرئيس ايبرت ومنحتهُ تأييدها وثقتها

تمّ مشروع الدستور الالماني الجديد، بعد اربعة اشهر من اجتماع الجمعية التأسيسية اي في يوليو سنة ١٩١٩ وصدر في ١١ اغسطس من السنة نفسها فنصّ على ان المانيا الجديدة يجب ان تكون جمهورية دمقراطية، لا مكانة خاصة فيها للارستقراطية العسكرية التي بناها بسمارك وعزّزها غليوم الثاني. ولكن الجمهورية ظلّت على أساس اتحادي (فدرالي) اي انها ظلّت مؤلفة من الولايات المستقلة التي تألفت منها الامبراطورية. والسلطة للجمهورية برلمان يدعى باسم البرلمان القديم اي الرايخستاج — على ان ينتخب اعضاؤه من الرجال والنساء بلا تمييز بين الفريقين، على اساس من التمثيل النسبي. فبدلاً من ان ينتخب الناخبون مرشحين معيّنين لتمثيل دائرتهم الانتخابية المحلية، قسمت المانيا من الوجهة الانتخابية الى خمس عشرة دائرة، ثم يعرض على الناخبين قوائم كاملة تحتوي على مرشحي كل حزب من الاحزاب، في كلّ من هذه الدوائر فيقترع الناخب للحزب — اي للقائمة — لا لمرشح

خاص. وكل حزب لهُ حقٌّ في ممثل واحد في ايرخستاج لقاء كل ٦٠ الف صوت نالها في الانتخاب. وبعد الانتخاب يستدعي رئيس الجمهورية زعيم الحزب الذي فاز بأكثرية المقاعد النيابية ويعيّنهُ مستشاراً — اي رئيس وزارة — وهذا بدوره يختار اعضاء وزارته . وهذا التمثيل النسبي اصلح لتمثيل الاقليات من نظام الانتخاب البريطاني . خذ مثلاً مائة دائرة انتخابية في انكلترا . وفرض ان مرشح المحافظين تغلّب في كلٍّ منها على مرشح العمّال بأكثرية يسيرة ، فعندئذ يكون ممثلو تلك الدوائر من المحافظين . ولكن الاقلية الكبيرة التي اقترعت للمرشحين العمال لا تمثل على الاطلاق . وهذا لا يقع في الانتخاب الالماني بحسب دستور ڤيمار . والشيء في الجمهورية مجلس آخر الى جنب الريخستاج ، يدعى الريخستات ، لتمثيل الولايات التي يتألف منها الريخ ، فهو من قبيل مجلس الشيوخ الاميركي ، وغرضه شبيه بغرض مجلس اللوردات البريطاني ، اي ان يحول دون اي تعجل يبديه مجلس النواب في التشريع ، ولكن رأيهُ استشاريٌّ فقط

اما رئيس الريخ ، فنص المشروع على انتخابهِ لمدة سبع سنوات ، وعلى ان يكون رئيساً لا سلطة له في الاحوال العادية ، فاذا عرضت للريخ حال طارئة كفتنة او ثورة حقّ له ان يصبح بمثابة دكتاتور لانهُ منح حق الحكم بمراسيم ، ولكن للبرلمان عند اجتماعه ان ينقضها

اما الوزارة فيجب ان تستقيل عند ما يعرب الريخستاج عن عدم الثقة بها

وفيما عدا ذلك كان دستور ڤيمار مبنيًّا على مثل الثورة الفرنسية ، اي انهُ نصٌّ على المساواة وحرية العبادة والرأي والصحافة والاجتماع

ولما تمّ وضع الدستور ، جاء في مجموعهِ نتيجة مساومة وتوفيق بين آراء الاحزاب المختلفة ، فلا المتطرفون من اليمين رضوا عنهُ ولا المتطرفون من اليسار . فحاول الشيوعيون احداث ثورة في الروز سنة ١٩٢٠ وفي تورنجيا في مارس ١٩٢١ ولكن الحكومة خمدت شوكتهم ، بعد قتال شديد

وكان فريق من متطرفي اليمين ، بزعامة رجل يدعى كاپ Kapp والجنرال فون لوتفتز ، قد حاول في مارس سنة ١٩٢٠ ان يقلب الحكومة في برلين ، فسار الزعيمان على رأس جيش من المتطوعين وفازا باحتلال برلين ، وفرّ الرئيس ايبرت وكذلك الوزارة التي يرأسها بَوَر Baner ، ولكن الحكومة دعت نقابات العمال الى اعلان اضراب عام على كاپ وصحبهِ . فما لبثت الحكومة التي انشأوها في برلين ، حتى تقوّضت اركانها وعاد الرئيس والوزراء الى العاصمة واعادة الحكم في ايديهم . وحاول هتلر في نوفمبر سنة ١٩٢٣ ان يقلب الحكومة في باڤاريا ويتسنّم هو وصحبهُ زمام السلطة في الجنوب وبعد ان يوطد قدمهُ فيها يسير الى برلين فيحدث في المانيا انقلاباً عامًّا ولكنهُ اخفق في محاولتهِ هذه

نفذت مواد معاهدة فرساي تنفيذاً دقيقاً ، فنسف الاسطول الالماني في سكاپافلو ، وسلمت مقاطعة اوبن ملميدي للبلجيك بعد استفتاء مطيوخ ، ونزعت مقاطعة سيليزيا العليا الغنية بالمعادن والمناجم ، مع ان الاكثرية في الاستفتاء السيليزي كانت في جانب المانيا ، وفصلت پروسيا الشرقية عن

سائر الريخ ، بالمجاز البولوني الذي منح لبولونيا ليكون منفذاً لها الى بحر بلطيق عند مدينة دانتزغ التي اقيمت فيها حكومة دولية تحت اشراف جمعية الامم . على ان المعاهدة لم تنفذ تنفيذاً حرفيًّا في ناحية واحدة من نواحيها . ذلك ان المعاهدة قررت محاكمة القيصر غليوم الثاني ولكن غليوم كان قد فرَّ الى هولندا ، ولم يتمكن الحلفاء من اقناع حكومة هولندا بتسليمه

وفي خلال ذلك كانت اللجنة التي عينت لتقدير مال التعويض المطلوب من المانيا تقوم بمباحثها فكان تقديرها الاول باعثاً على الدهشة . ذلك انها قررت ان يكون مجموع المال الذي تدفعه المانيا على سبيل التعويض ستة آلاف مليون جنيه ، وان عليها ان تدفع منهُ للف مليون في سنة ١٩٢٠ فلقي هذا التقدير اعتراضاً عنيفاً في المانيا التي افقرتها الحرب والثورة ثم نزع منها اسطولها التجاري واغنى مقاطعاتها الصناعية . وقرر احد الكتَّاب انهُ اذا دفعت للمانيا هذا المبلغ بأوراق نقدية ، كل قطعة منها مارك واحد ، كفى هذا الورق لتغشية جسر يمتد من الارض الى القمر . ولكن روح الانتقام كانت لا تزال تملأ صدور الحلفاء . وتوالت المؤتمرات بيد أن مال التعويض المفروض على المانيا لم ينقص في احدها عن مائتي الف مليون مارك ذهب ، فكأن الحرب كانت لا تزال مضرمة النار بين المانيا وحلفائها

اعترضت المانيا واحتجَّت وقال زعماؤها ان المانيا مستعدة ان توفّي ما عليها ولكن يجب ان تمنح فسحة من الوقت لتفعل ذلك . وكان لويد جورج اول سياسي من ساسة الحلفاء الذين أدركوا انهُ لابدَّ من منح المانيا فسحة من الوقت ، والاَّ اصابها الخراب الاقتصادي ، وعند ذلك ينقطع حبل التجارة بين بريطانيا وبينها . ولكن بوانكاره ، خالفهُ في الرأي وقال ان لا فسحة للمانيا من ان تدفع المبلغ كاملاً . ولا بدَّ من ان تدفعهُ في الحال او في مدى سنوات قلائل . ذلك ان تجارة فرنسا في المانيا كانت يسيرة لا يؤبه لها . بل ان فرنسا كانت تتوقع من المانيا ان تجهز المال اللازم لتعمير الولايات الفرنسية التي داستها سنابك الالمان وخرَّبتها مدافعهم . وفي سنة ١٩٢٢ بلغ الخلاف في الرأي بين بريطانيا وفرنسا مداه . وكانت المانيا قد توقفت عن دفع الاقساط المفروضة عليها — فأصدر بوانكاره أمره الى الجنود الفرنسية باحتلال مقاطعة الرور

واحتلال مقاطعة الرور ، بين الافعال التي اتتها أية حكومة متمدنة في تاريخ السنوات التي تلت الحرب الكبرى ، يحسب من اشدها استبداداً . فقد حلَّ جيش فرنسي مؤلف من عشرة آلاف جندي محتلاً اغنى المقاطعات الالمانية الصناعية من يناير سنة ١٩٢٣ الى يوليو ١٩٢٤ ، وكان في الجيش الفرنسي جنود سود علاوة على الجنود الفرنسيين . وكانت تكنات المقاطعة لا تتسع لجميع هذه الجنود . ففرض الضباط الفرنسيون على الاسر الالمانية في تلك المقاطعة ان يفتحوا ابواب بيوتهم للجنود السود . وكان هذا الاحتلال أشبه شيء باستمرار الحرب . فقد قتل في خلال تلك المدة ستٌّ وسبعون من الالمان وعشرون من الحلفاء . وأبعد المعارضون من الالمان عن بلادهم . وطرد نحو ١٤٧ الفاً لا تمام

اقترفوها او ادّعيت عليهم . وظلّ نحو عشرة ملايين من السكان عاطلين عن العمل، فاضطرّت المانيا في خلال ذلك ان تستورد لحمها من بريطانيا بأسعار شركات الاحتكار

ولم يطل المطال حتى ظهر فساد هذه الخطة . كان هبوط المارك قبل احتلال الرور ينذر بالخطر ولكن تدهوره بعد الاحتلال تحوّل الى كارثة . فهبط سعر المارك من الف مارك للجنيه الى مليون الى الف مليون . وقد يكون من المتعذّر وصف الفوضى التي احدثتها هذه الكارثة في حياة الالمان. فالارامل والشيوخ الذين كانوا يعيشون على دخل مبالغ من المال وفّروها او ورثوها ، اصبحوا وقد تبدّد رأس المال الذي يعتمدون عليه . والموظفون الذين يتناولون مرتبات ، من الحكومة او البيوت المالية والتجارية ، اصبحت مرتباتهم لا تكفي لشراء فنجان من القهوة والتبن ، اما العمال فكانوا يهرعون الى إنفاق اجورهم عند تسلمهم اياها ، لانهم اذا صبروا الى الصباح ، فقد تفقد كل قيمتها . ان ويلات الحرب والثورة كانت أقل من ويلات الالمان في فترة التضخم هذه . ذلك ان المعيشة في المانيا سنة ١٩٢٣ هبطت الى مستوى لم يعهد في اي بلاد اوربية اخرى

***

وفي اكتوبر ادركت الحكومة الالمانية ان البلاد لن تستطيع الصبر على هذه الحال . فبعثت بمذكرة الى رئيس لجنة التعويضات تعلن فيها استعدادها للرجوع عن موقف المقاومة السلبية الذي وقفته الامة والحكومة بعد احتلال الرور ، وتطلب تعيين لجنة من الحلفاء لفحص مالية المانيا ، والاشتراك في تنظيمها وتثبيت المارك، توطئة لتوفية مال التعويض. وكان المستشار الجديد رجلاً يدعى جوستاف شتريزمن فأعرب بأفعاله عن رغبته في الفوز بمعاونة الحلفاء وصداقتهم . وكذلك فاز في توفير سنة ١٩٢٣ بتثبيت المارك . وصرّح ان «الرنتمارك» هو وحدة العملة الالمانية الثابتة، وان الحكومة مستعدة ان تبتاع المارکات بمتوسط الف مليون مارك مقابل رنتمارك واحد. فكانت نتيجة هذا ان كل المال الذي وفرته الطبقات الوسطى والعالية زال معظمهُ بزوال المارك. واصبحت جماعة «البورجوازي» من العمال . ولكن هذه التضحية افادت في تغيير موقف الحلفاء نحو المانيا . ذلك ان شتريزمن اقنعهم بأن المانيا مستعدة لتحقيق العهود التي قطعتها والقيام بالتعهدات المالية التي فرضت عليها

فكان ذلك فاتحة عهد جديد في المانيا . كانت الفترة بين ١٩١٩ و ١٩٢٣ في المانيا ، فترة مقاومة من ناحية الالمان ، وإصرار من ناحية الحلفاء . واما الفترة التي تلتها (اي ١٩٢٤ — ١٩٣٠) فكانت فترة نهوض المانيا بمعاونة الاموال الانكليزية والاميركية

ففي سنة ١٩٢٤ وضعت لجنة دولية برأسها الجنرال دوز الاميركي (وتعرف باسمه) مشروعاً جديداً للتعويضات الالمانية ، فرض فيه على المانيا ان تدفع للحلفاء مقداراً نسبيًّا من دخلها القومي، جانب منهُ يدفع نقداً بالذهب والجانب الآخر عيناً بالبضائع . ولكي تتمكن من هذا وجب ان ترمّم مصانعها وتعمّرها بأموال تقترض لها في اسواق العالم المالية

وكذلك كان مشروع دوز فاتحة عصر انتعاش صناعي عظيم في المانيا . ورأى الالمان شعاعة أمل ، تبرق عند الافق البعيد فانصبّوا على عمل التعمير والانشاء ، بروح لم تعرف في امة مهزومة ، الاّ في فرنسا بعد هزيمتها في الحرب البروسية الفرنسية (١٨٧٠ — ١٨٧١) وفي روسيا عند عنايتها باتمام مشروع السنوات الخمس . فما جاءت سنة ١٩٣٦ حتى كان انتاجها الصناعي لا يقل كثيراً عن انتاجها قبيل الحرب ، ذلك انهُ لم ينقص عنهُ الاّ ٥ في المائة فقط

ولكن الثمن الذي دفعتهُ كان ثمناً فادحاً من الكدّ والنصب والاكتفاء باليسير من الطعام والراحة . فالملاّب كان عليهم ان يتموا دروسهم الجامعية في الفترات التي تتخلل الاعمال البدوية التي فرضت عليهم . والنساء كان عليهنّ ان يعنين بتربية اطفالهنّ في ساعات فراغهنّ من العمل في المصانع . وحتّم على الشيوخ ان يتخلوا عن راحة الشيخوخة التي اشتروها عزيزة ، ليبدأوا العمل من جديد كأنهم شبّان

***

بيد ان الشبيبة التي نشأت بعد الحرب كانت توجه الى نفسها هذا السؤال : وما الفائدة من كل هذا الجهد والنصب والتقتير ؟ ولماذا يجب على المانيا ان تذلّ وتستعبد اجيالاً من ابنائها لتوفي غرامة حرب ، لا شأن للشبيبة في تبعتها ؟ ولماذا يجب ان يضيّعوا جهودهم في تعويضات فرضها عليهم قاهرو آبائهم ؟

وكذلك بذرت بذرة التبرم بمعاهدة فرساي في صدور الشبيبة الالمانية . فلما انتظمت المانيا في جمعية الامم سنة ١٩٢٥ لم يكن انتظامها ذا أثر فعّال في النفوس ، لان الحلفاء ما قبلوا ذلك واقرّوه الاّ بعد تردّد طويل . ولان المادة ١٣١ من معاهدة فرساي كانت لا تزال قائمة ومؤدّاها ان تبعة الحرب واقعة على كاهل المانيا وحدها

هذا التبرّم في الروح الالمانية اتجه اتجاهين مختلفين . اما الاول فالاتجاهُ الشيوعي . فقد كان كارل ماركس نبيُّ الشيوعيين المانيًّا من اصل يهوديّ . ومبادىء ماركس كانت بمثابة انجيل للشبّان من عمّال المانيا . بل ان الحكومة الجمهورية في برلين ، كانت في قبضة طائفة من اليهود او من يلف لفّهم . وبافاريا الكاثوليكية نفسها ، ظلّت في قبضة الشيوعيين ، مدة وجيزة في سنة ١٩١٩ ، الى ان قضى عليهم نوسكه . فتحوّل المانيا الى الشيوعية لم يكن حينئذٍ امراً مستحيلاً

***

ولكن الشيوعية تعني نزعة دولية بأوسع معانيها ، وعالقة مع روسيا السوفيتية . والالمان وطنيون لا دوليين في المقام الاول وروسيا خصمهم التاريخي . لذلك اتجهت روح التبرم في نواح من المانيا ، اتجاهاً آخر ، وافرغت في جمعية اخرى ، مبادؤها قومية صحيحة ، مقاومة لليهود والروس في آنٍ واحد ، ومبنية على تمجيد السلالة الجرمانية وابطالها . هذه الجمعية او هذا الحزب هو صاحب الحركة الموسومة باسم « الحركة الوطنية الاشتراكية » التي زعيمها الفر ادولف هتلر

بارتو وبرانكاره

[رزئت فرنسا في خلال اسبوع واحد (٩ — ١٥ اكتوبر) بفقد رجلين من اكبر رجالها التي تولوا دفة سياستها في اواخر الربع التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين ، وقشوا اسماءهم في صفحات تاريخها بمداد من نور ، ورفعوا ذكرها في الطاقتين بما جمعوا في شخصياتهم من الوطنية الصادقة والفصاحة الخلابة والاخلاق الادبية والبراعة البرلمانية ونقاء السمعة والجرأة في النضال السياسي . اما الاول فهو لويس بارتو ، الذي سقط في قاعة مرسيليا يوم ٩ اكتوبر ١٩٣٤ ، واما الثاني فهنري برانكاره توفي ظهر الاثنين في ١٥ اكتوبر]

لويس بارتو

لعلّ اوربا لم تشهد في العهد الأخير نشاطاً في وزير خارجية كنشاط المسيو بارتو . فمن ساعة تقلده لمنصب وزير خارجية فرنسا في فبراير الماضي الى ساعة مصرعه في مرسيليا مساء الثلثاء ٩ اكتوبر ١٩٣٤ كان أشبه شيء بالحركة الدائمة . ها هوذا في جنيف ، في مؤتمر نزع السلاح ، يناضل عن خطة فرنسا على منبر المؤتمر وفي الاجتماعات الخاصة او في حجر اللجان ، آناً يهاجم وآناً يدافع ، وفي كلامه حدة ولين ، وبلاغة في الحالين . فلما عاد الى باريس استقبل فيها استقبال الأبطال . حتى بريان في اوج عزه كوزير خارجية فرنسا ، لم يفز من الفرنسيين باستقبال أعظم من الاستقبال الذي فاز به بارتو . ثم ها هوذا يعود الى جنيف للنظر في مسألة استفتاء السار ، فيعقد في اللجنة الخاصة بذلك برآسة البارون لوازي ، اتفاقاً على ميعاد الاستفتاء والضمانات الخاصة به . فاذا فرغ من اجتماعات اللجنة اختلى بلتفيتوف قوميسير خارجية روسيا ، يباحث معهُ في انتظام روسيا في جمعية الأمم ، او بتوفيق رشدي بك وزير خارجية تركيا يحثه على توثيق الروابط التي تربط فرنسا بتركيا ، او بممثلي دول اوربا الوسطى يحاول ان يحل واياهم المشكلات الخاصة بوادي الدانوب . بل ها هوذا يزور في خلال الثمانية الاشهر التي انقضت عليه في الحكم دوروساي عواصم ست دول هي بروكسل وفرسوفيا وبراغ وبوخارست وبلغراد ولندن . ويشيء مشروع ميثاق اوربا الشرقية . ويكتب المذكرات الضافية عن نزع السلاح واستفتاء السار . ويدير بمهارة عظيمة مسألة انضمام روسيا الى جمعية الامم رغم اعتراض طائفة من الدول عليها . وكان عند مصرعه في مرسيليا يستقبل الملك اسكندر اليوغوسلافي ، لتكون مباحثاته معه تمهيداً لزيارته لروما واجتماعه بالسنيور موسوليني في الشهر القادم

فعل كل ذلك وهو في الثانية والسبعين من العمر ؟

كان بارتو عضواً في الأكاديمية الفرنسية . احرز هذا الشرف العظيم بصفة كونه كاتباً المعيًّا

الملـــو فاروق والملك اسكندر اليوغوسلافي قبيل مصرعهما

منتصف نوفمبر ١٩٣٤ — أمام ص ٣٤١

لا لأنهُ من كبار رجال السياسة . وفي مقدمة مؤلفاته سيرة ميرابو خطيب الثورة الفرنسية العظيم . وله كتاب آخر في لامارتين الشاعر والخطيب والسياسي والمؤرخ . وكتب اخرى في بودلير وفرلين الشاعرين ، ورسائل المثلة وغرام رتشرد فغنر الموسيقي ، ورسائل الغرام التي كتبها فكتور هوغو . بل كان علاوة على ذلك من كبار نقدة الفن ومن كبار الثقات في الطبعات الاولى النادرة التي صدرت من بعض الآثار الادبية المشهورة حتى لقد قيل عنه انهُ يوم اقترب الالمان من باريس ، وبدأت مدافعهم تمطر قنابلها عليها ، وأخذ الباريسيون يجمعون اعلاقهم ليخفوها في حرز حريز ، تأبط بارتو بعض الكتب النفيسة النادرة وخرج يبحث على مكان امين يودعها فيهِ

او انظر اليهِ في مجلس النواب . فقد اثر عنه قوله ان « المنبر مذبح (بالمعنى الديني) الكلمة » واذ ينهض بارتو من مكانه في المجلس ، ويمشي الى المنبر ، تحس في خطواته المتزنة الهادئة ، انهُ يشعر بالتبعة العظيمة الملقاة على عاتق كل من يتوخى ان يفوه بكلمة هناك . مضى عليه اربعون سنة وهو يلقي من ذلك المنبر كلمات لها شأن كبير في تقرير مسائل خطيرة . ان الكلمات على اطراف اصابعه ، لانهُ فصيح ، واللغة تنقاد اليه ، ولكنك تدرك من مشيته الى المنبر وكلماته الاولى التي ينطق بها نوعاً من الرهبة ، لا تستطيع ان تفسرها الا بقوله « يجب على الانسان ان يرهب المنبر لكي ينهض الى مستواه الرفيع » . فاذا زال اثر التردد من كلماته الاولى انطلق في خطابتهِ انطلاق السيل في انسجام وقوة . فهو معروف بين صحبهِ بانهُ من « سحرة » الكلام . سوته نغم رنان . وفي عبارته ايقاع شعري كانهُ استمدهُ من طول ملازمته لكبار شعراء فرنسا

وكان الى ذلك محدثاً بارعاً ، ذلق اللسان ، قوي الحجة ، واسع الرواية ، كثير النوادر يأسف لانقضاء العصر الذي كانت فيهِ صالونات السيدات تجمع اصحاب المواهب العقلية فيها فتصطدم العقول بالعقول ويقدح شرر الذكاء . انهُ يأسف لان الرجال اليوم يبيعون افكارهم للجمهور بكذا من السنتيمات لقاء كل كلمة بدلاً من ان يهبوها علناً لمن كان له اذنان للسمع فيسمع

ومع انهُ كان من اولئك الذين يعطونك في الحديث اكثر مما يأخذون منك كان يحسن الاصغاء وهذا من اهم صفات الكريم المثقف من الرجال

***

تقلب في المناصب السياسية فتقلد منصب الوزارة نحو عشر مرات بين الاشغال العامة والمعارف والحربية والخقانية والخارجية بل دعي في شهر مارس سنة ١٩١٣ الى انشاء وزارة فانشأها وسليل السيوف يدوي في الجو الاوربي وكان على فرنسا حينئذٍ ان تفصل في مسألة حيوية لها ، ذلك ان شبح الحرب في اوربا كان قد بدأ يخيم على دوائرها السياسية ويجثم فوق صدور رجالها ، فنادى المنادي في فرنسا ان تأهبوا للنضال القادم فوضع مشروع يقضي بزيادة الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي الى ثلاث سنوات وقدم لمجلس النواب فلقي معارضة شديدة من احزاب اليسار . ولكن بارتو تمكن

من اقرار القانون بلياقته المشهورة فتقم عليه صحبهُ من الاحزاب الراديكالية كيف يخون مبادئهم وهتل له غيرهم قائلين انهُ منقذ الوطن وان الوطن في اعتباره يسمو على الاحزاب . ولكن خصومه ربحوا لهُ حتى بدت في حكومته ثغرة فنفذوا منها الى اسقاطه فخلفهُ في رئاسة الوزارة المسيو دومرغ رئيس الوزارة الحالي الذي انتظم بارتو في وزارته وزيراً للخارجية

فلما نشبت الحرب الكبرى تذكر الناس القانون الذي سنَّهُ بارتو وحمدوا لهُ بُعد نظره لان نشوب الحرب الكبرى لقي فرنسا بفضل هذا القانون متأهبة لخوض معمعة النضال

واشترك بعد الحرب الكبرى في وزارات مختلفة بل تقلد عدا المناصب الوزارية مناصب سياسية في المقام الاول في حياة فرنسا العامة منها منصب رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب ورئيس لجنة التعويضات التي عينها مؤتمر السلام للنظر في مال التعويض الالماني ومثَّل فرنسا مع المسيو ريان في مؤتمر جنوى الاقتصادي واشترك في وزارة بوانكاره التي انقذت الفرنك من التدهور

ان الكاتب ليأسف اشد الأسف عند ما يرى حياة كحياة بارتو الطويلة الحافلة بجلائل الآثار في السياسة والادب تنقضي رصاصة يطلقها مفتون من الفدائيين الذين يستحلون دماء الناس اذ لا ريب ان مصرع بارتو جاء في غير اوانه فانه رغماً عن كونه بلغ الثانية والسبعين من العمر كان لا يزال عنصراً فعالاً في سياسة اوربا بل كان ينتظر لها على يديه حل بعض المشكلات التي تقض مضجعها وتذاق خواطر رجالها

ريمون بوانكاره

كان الجيل الحاضر مظهراً للكفاءات العالية بسبب الحرب العظمى وما تلاها من المشكلات فرأينا اقطاب الدول يخلقون في فضاء الشهرة فمنهم من استطاع الاحتفاظ بمقامهِ ومنهم من هوى ومنهم من نسي امره فلا يكاد يذكرهُ الناس. فغليوم وهندنبرج واسكويث ولويدجورج وكلمنصو وبوانكاره وودرو ولسن وجوفر وبيتي وهايج وفوش وفيجان واللنبي ومصطفى كمال ولنين وموسوليني وبهلوي شاه وغاندي وفيصل وغير هؤلاء برزوا الى الميدان العالمي وكانوا قبلة انظار البشر ثم اخذوا يتوارون عن العيون وقد مات معظمهم وقلَّ الذين صبرت شهرتهم على فعل الزمان

وقد امتاز ريمون بوانكاره بصفات وسجايا مكنتهُ من النهوض بعبء رآسة الجمهورية بما يقتضيه هذا النهوض من عناية بالحياد بين الاحزاب وعدم التعدي على سلطة الوزارات وهذا مع الاحتفاظ بهيبة المنصب وكرامة الرآسة فلما القيت اليهِ مقاليد الوزارة بعد الحرب ظهر بمظهر آخر وتذرع بحزم نادر النظير حتى انتشل بلاده من وهدة الخراب النقدي والبوار المالي ووقف من المانيا موقفاً كفيلاً بصون سلامة فرنسا وعدم استهدافها في المستقبل القريب لمثل الخطر الذي واجهتهُ في سنة ١٩١٤

وقد اختلف الناس في الحكم على سياسته الالمانية هذم فرأى بعضهم فيها افراطاً في التشديد

لا بد أن يعقبهُ من التقور والامتعاض والاستياء ما يوغر الصدور ويبعث على تحين الفرص لانتقاص ما يسنح منها . وذهب آخرون الى ان بوانكاره كان مخلصاً في عقيدته وانهُ بعد ما أكتوى واكتوى قومه بنار الحرب صار ادرى من غيره بما يلزم للوقاية وحكم بان هذه الوقاية لا تستوفى الاّ بتعزيز قوة فرنسا العسكرية والمضي في كبح جماح المانيا . وانقسم ساسة الانكليز في هذا الامر فكانوا فريقين

اما الفرنسيون فمعظمهم أيد بوانكاره ولاسيما بعد ما تجلّت لهم مواهبهُ هذه في رآسة الوزارة. فقد عرفوه رئيساً للجمهورية تقضي عليهِ فروض منصبه بان يلتزم سبلاً معينة ينص عليها دستور البلاد وتقاليد الحكم فيها فلما انطلقت يده في الوزارة بدا وهو في سن الشيخوخة بما دلّ على ما كمن في نفسهِ من قوة وحزم . وسواء أكان ريمون بوانكاره مصيباً في سياستهِ الخارجية او مخطئاً فان فرنسا لا تنساه ولا تنسى ما بذل في خدمتها وما جنت شجاعته واقدامه وجرأته وشدة تمسكه بمبادئه ونظرياته وتوقف ساسة الدول بمثل جرأتهِ لاجتناب العالم كثيراً من مشكلاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان شر ما ابتلي بهِ اقطاب الدول في هذه الايام جنوح عن الصراحة واعراض عن صدق البيان اقتناصاً لاصوات الناخبين او مجاراة لتيارات الاحزاب

***

ولد في ٢٠ اغسطس سنة ١٨٦٠ وكان والده عالماً جليلاً ومتبولوجيًّا شهيراً وتلقى علومه في جامعة باريس ودرس المحاماة وعين محرراً قضائيًّا لجريدة فولتير ثم استخدم في وزارة الزراعة وبعد سنة انتخب نائباً عن دائرة الموز واشتهر في مجلس النواب بسعة معارفه في الشؤون الاقتصادية وعين عضواً في لجان الميزانية فوزيراً للمعارف والفنون الجميلة في وزارة ديبوي الاولى في سنة ١٨٩٣ فوزيراً للمالية في وزارة ديبوي الثانية والثالثة سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٥ وجدد تعيينه وزيراً للمعارف في وزارة ريبو ولكنه خرج من الوزارة في الوزارة الرديكالية التالية غير ان مشروع ضريبة الارث الذي اقترحته هذه الوزارة بني على اقتراحات سابقة لهُ . وانتخب وكيلاً لرآسة مجلس النواب في خريف سنة ١٨٩٥ وجدد انتخابه في السنتين التاليتين رغماً عن معارضة الرديكاليين الشديدة . ثم عين في سنة ١٩٠٦ وزيراً للمالية في وزارة ساريان ولكنه تخلى عن منصبه هذا الى المسيو كايو في السنة نفسها لما الف المسيو كليمنصو وزارته الاولى . وانصرف في خلال السنوات الخمس التالية الى ممارسة صناعة المحاماة علاوة على كونهِ عضواً فعالاً في مجلس الشيوخ. وفي سنة ١٩٠٩ انتخب عضواً في الاكاديمية الفرنسية . وفي اول سنة ١٩١٢ سقطت وزارة كايو وعهد اليه في تأليف الوزارة فتولى الرآسة ووزارة الخارجية وكانت وزارته ائتلافاً وطنيًّا وكان همه الاول اتباع سياسة خارجية مقررة. اما في الشؤون الداخلية فكان اصعب ما اعترضه مسألة الاصلاح الانتخابي . واما السياسة الخارجية فكانت الشغل الشاغل لبوانكاره في تلك الايام ففيها حدث حادث اغادير فكان هذا الحادث وسياسة

كابو السابقة مع المانيا من اهم الاسباب التي افقدت خواطر الفرنسيين فبذل جهده لوضع سياسة خارجية مستقرة ومتصلة الحلقات. ومع انه حافظ على علاقات المجاملة مع المانيا انصرف جلّ همهِ الى اثبات ان فرنسا لا تنفك عن الولاء والاخلاص لحلفائها وخصومها . وتمكن من عقد معاهدة مع المانيا في ٣ نوفمبر سنة ١٩١١ وسحت فرنسا بواسطتها قدمها في المغرب الاقصى

***

وحدث بعد ذلك حادثٌ كاد يوقع النفور بين فرنسا وايطاليا . فان ايطاليا كانت مشتبكة في سنة ١٩١٢ في الحرب مع تركيا فقبضت بعض البوارج الايطالية على باخرتين فرنسيتين كانتا في طريقهما الى تونس ولكن المسيو برانكاره حال برزانته وحزمهِ دون وقوع هذا المحظور واعاد العلاقات بين البلادين الشقيقتين الى صفائها السابق . ومما يؤثر لهُ انهُ حاول جهده منع وقوع حرب البلقان الاولى وامتداد نارها الى اوربا ولكن موقف التهديد الذي وقفته المانيا والنمسا بعد ذلك دعاه لان يطلب من البرلمان زيادة الاسطول الفرنسي ثم عزز بمهارته وبعد نظرهِ الاتفاق مع بريطانيا العظمى فكانت نتيجة ذلك انه بات في وسع فرنسا ان تحشد اسطولها كله في البحر المتوسط

وانتخب في ١٧ يناير سنة ١٩١٤ رئيساً للجمهورية خلفاً للمسيو فاليير وكان اول ما سعى له توثيق علاقات فرنسا بحلفائها فانتقده خصومه في فرنسا والخارج على هذه السياسة ولكنهُ لم يبال بنقدهم بل واصل مساعيه من هذا القبيل ونجح فيها نجاحاً باهراً فقد كان يرى ان خير وسيلة لاتقاء الحرب ان تقف الدول المهددة صفاً واحداً في وجه الدول التي تهدد سلم اوربا

وفي يوليو سنة ١٩١٤ زار بطرسبرج ووثق عرى المحالفة مع روسيا وبينما هو عائد منها الى فرنسا فوجيء في طريقه بخبر البلاغ النهائي الذي أرسلته النمسا الى سربيا فعجل بالعودة الى باريس وحين وصوله اليها ارسل كتاباً الى الملك جورج الخامس طلب فيه ان تذيع بريطانيا العظمى بياناً صريحاً بأن الاتفاق الودي سيرهن على متانته في ساحة الحرب اذا اقتضى الامر ذلك. وحجته في مثل هذا البيان هو انهُ يكبح سياسة برلين وفينا ويرد ساستها الى الصواب

وخدم بلاده في اثناء الحرب بكل غيرة وحمية حتى انهُ تناسى احقاده السابقة وما زال يسعى حتى عهد الى المسيو كليمنصو خصمه في رآسة الوزارة وكانت ثقته تامة بالفوز النهائي ولم يخامره شك ما في جميع مراحل الحرب وتقلباتها . ولكن الخلاف عاد فدبَّ بينه وبين المسيو كليمنصو في اثناء عقد معاهدة السلم وتجددت خصومتهما القديمة حتى اصبحت اشبه بالعداوة

وانتهت رآسة المسيو برانكاره للجمهورية في سنة ١٩٢٠ اي بعد سبع سنوات خدم فيها فرنسا اصدق خدمة وبعد اعتزاله للرآسة انتخب عضواً في مجلس الشيوخ عن مقاطعة الموز

وفي يناير سنة ١٩٢٢ سقطت وزارة بريان فألّف صاحب الترجمة وزارته الاولى بعد الحرب وتقلد

ریمون پوانکاره
Raymond Poincaré

منتخب توانبر امام من ۵۹۴

رآسة الوزارة ووزارة الخارجية وكان من اهم ما سعى الى تحقيقه في هذه المرة اكراه المانيا على الوفاء بعهودها من جهة التعويض وانقضت السنة الاولى من وزارته من غير ان يوفق الى الاتفاق مع بريطانيا العظمى في هذا الصدد لتباين آراء رجال الحكومتين . وعقد مؤتمر لوزان في لندن في اغسطس وديسمبر سنة ١٩٢٢ ومن غير ان يصل الى نتيجة ما وعقد مؤتمر آخر في باريس في ٢ و ٥ يناير ولكن المسيو بوانكاره رفض الاقتراحات التي عرضها المسيو برنار لو

وفي خلال ذلك قررت لجنة التعويض ما عدا المندوب البريطاني ان المانيا قصرت في القيام بالتزاماتها فيما يتعلق بتسليم الفحم والكوك فاتفق المسيو بوانكاره مع البلجيك على احتلال الرور وكان الغرض الاول من هذا الاحتلال ان يكون وسيلة للمراقبة ولكن لما اشتدت مقاومة الالمان السلمية اقتضى الحال ان يضع الفرنسيون والبلجيكيون يدهم على سكة الحديد ويشغلوها وجعلت مناجم الفحم والحديد ايضاً تحت اشراف فرنسي وبريطاني . وانتهت المقاومة السلمية في الخريف وانتظر بوانكاره ان يعرض الالمان اقتراحاتهم في مسألة التعويض فلم يفعلوا وحينئذ عمل بما اقترحته اميركا وهو ان يعهد الى جماعة من الخبراء في تدبير حل لمشكلة التعويض فأفضى بحثهم الى وضع مشروع داوز غير ان بوانكاره عقد العزم على ان لا يجلو عن الرور الا بعد ان يرتاح الى حسن سير هذا المشروع في مراحل تنفيذه الاولى على الاقل

وواجهته في الاشهر الثلاثة الاولى من سنة ١٩٢٤ ازمة مالية نشأت من اختلال الميزانية وسير سعر القطع ولقي صعاباً جمة في حمل البرلمان على الموافقة على فرض ضرائب جديدة فتمكن بهذه الوسيلة وبما ابداه من الحزم واصالة الرأي من اصلاح الحالة وتفريج الازمة ولكن المعارضة اشتدت عليه بعد ذلك من جانب الراديكاليين والاشتراكيين وجرت الانتخابات العمومية في مايو ١٩٢٤ تفاز هذان الحزبان بعد ائتلافهما بالاكثرية ولما اعلنت نتيجة الانتخاب قال بوانكاره انه يستقيل في اليوم الذي يجتمع فيه المجلس الجديد وقد استقال فعلاً في اول يونيو من تلك السنة

وعاد الى مجلس الشيوخ ولم يشترك بعد ذلك في المناقشات السياسية الا غراراً ولكن البلاد وقعت في صيف سنة ١٩٢٦ في ازمة مالية اقامت الشعب الفرنسي واقعدته وعجزت الوزارات التي تعاقبت عن درء خطر هذه الازمة فزادت الحالة ارتباكاً وتعقداً والتفتت الامة الفرنسية حولها طلباً لمنجد من ينتشلها من هذه الورطة فلم تر سوى بوانكاره وبعد سقوط وزارة بريان وكايو التي عاشت اسابيع معدودة وسقوط وزارة هريو التي لم تعمر سوى بضع ساعات دعا رئيس الجمهورية المسيو بوانكاره لتأليف الوزارة فألفها في يوليو من تلك السنة من الجمهوريين والراديكاليين والاشتراكيين وكان اهم اغراضها تثبيت المالية الفرنسية وتوطيد دعائمها بالسير على خطة وطنية موحدة فاطمأن الرأي العام الى هذه الخطة وخف ما استحوذ عليه من الذعر كثيراً . وفي اغسطس دعت الوزارة الجمعية العمومية الوطنية للانعقاد في فرساي للموافقة على مواد بانشاء مال استهلاك يعمل من تلقاء

نفسه وتخصص لهُ الايرادات من رسوم الارث واحتكار الدخان وغيرها من الايرادات وادماج تلك الموارد في صلب الدستور حتى لا تكون عرضة للتغيرات السياسية وتضارب آراء الاحزاب

وفي أقل من ثلاثة أشهر وفق الى رفع سعر الفرنك من ٢٦٤ فرنكاً للجنيه الاسترليني الذهب الى ١٢٤ وقد تمكن من تقرير السعر الاخير في دسمبر سنة ١٩٢٦ وظلّ هذا السعر ثابتاً لم يتغير

وقضى بوانكاره سنة ونصف سنة وهو يواصل المساعي ويبذل الجهود حتى أعاد الموازنة الدقيقة الى الميزانية الفرنسية فتيسر للحكومة المحافظة على سعر الفرنك في حد الرقم الآنف الذكر (١٢٤ فرنكاً للجنيه) ان لم يكن رسميًّا فواقعيًّا

وجرت الانتخابات العمومية في ابريل سنة ١٩٢٨ فكانت اكثرية النواب راضية عن سياسته وفي يونيو من تلك السنة وافق المجلس الجديد ومجلس الشيوخ على قانون بتثبيت الفرنك رسميًّا بسعر ١٢٤ فرنكاً للجنيه الاسترليني فانتهت بذلك ازمة الفرنك وكان نجاح بوانكاره في انهائها أبهر عمل سجل في التاريخ عن سياسة النقد

غير ان الائتلاف بين الجمهوريين من جهة والراديكاليين والاشتراكيين من جهة اخرى لم يعمر طويلاً فانسحب الحزبان الاخيران بمساعي كايو من الصفوف المؤيدة للوزارة وانضما الى صفوف المعارضة لها فتألفت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ولكن بوانكاره عاد فألف وزارة جديدة في ١٢ منه ولكنها لم تعمر طويلاً. وفي سنة ١٩٣٢ وافق البرلمان الفرنسي على قانون «تقدير الوطن» وهو يقضي بمنح كل رئيس جمهورية سابق يرى مجلس النواب انهُ يستحق تقدير الوطن معاشاً سنويًّا قدره مائتا الف فرنك وقرر في الوقت عينه ان من الرؤساء السابقين الذين يستحقون هذا التقدير المسيو بوانكاره

واعتزل المسيو بوانكاره السياسة ولكنه لم يكن يقعد عما يراه مجحفاً بمصلحة فرنسا بل كان يفاوض رئيس الجمهورية ورجال الوزارة في مثل هذه الامور ويرشدهم الى مواطن الخطأ او الضعف ولا سيما في السياسة الخارجية. وأصيب في السنوات الاخيرة بمرض اقعده عن العمل الا من التأليف

وللمسيو بوانكاره غير مقالاته الكثيرة في الموضوعات القانونية والسياسية والادبية مؤلفات أخرى اشهرها كتابه «في خدمة فرنسا — مذكرات تسع سنوات» وهو يقع في عشرة مجلدات تتضمن وصف سير الحوادث التي كان له نصيب فيها بين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢٠

***

ومما يؤثر عن اسرة بوانكاره انها انجبت نخبة من رجال العلم والفضل كان في مقدمتهم المرحوم جول هنري بوانكاره ابن عم صاحب الترجمة فقد كان من اكبر علماء الرياضيات الذين عرفوا في جميع العصور ومعدوداً في منزلة نيوتن في بحوثه الرياضية والطبيعية

نفسية شعب اليابان

[ترقب اميركا شؤون الشرق الاقصى بشيء كثير من العناية والقلق ثم هي لا تني عن تأكيد موقفها هناك وهو انها لا تعترف بمعاهدة او حالة راهنة تمت بوسائل مناقضة لروح عهدة كلوج بريان — عهدة باريس التي تحرم الحرب — وقد شرعت من عهد قريب ، في تجديد اسطولها ، حتى يصبح في المكانة التي تسمح لها به المعاهدات البحرية . فاليابان ازاء ذلك قائمة ، متحدية ، متحيرة ، فما هو موقف الشعب الياباني نحو اميركا ماذا يضمرون فيها من الظنون وما يخشونه منها]

﴿ حياة مزدوجة ﴾ ان ياباني اليوم يعيش عيشة مزدوجة ، فتقدم في الحياة اليابانية القديمة الزاهية الالوان ، حياة الآباء والاجداد المنحصرة ضمن نطاق ضيق من المطامح والمصالح ، وقدم اخرى في حياة القرن العشرين ، حياة السياحة ، والانباء البرقية ، والصناعة الآلية ، والتجارة الدولية ، والاقتصاد الرأسمالي الذي يتزع الى البسطة والتوسع

خذ اية صورة في متناول يدك لوزارة يابانية ، تتبين فيها صحة ما نقول . انك ترى فيها طائفة من مدبري شؤون الامبراطورية في ملابس على احدث الازياء الرسمية الشائعة في اوربا واميركا ، وترى طائفة اخرى في ملابس اجدادهم الاقدمين . فالجنرال اراكي وزير الحربية اليابانية سابقاً وزعيم اليابان العسكري او زعيم الروح العسكرية فيها ، يرتدي اللباس العسكري المصنوع من قماش « الكاكي » في مكتبه ، فاذا فاجأه احد الصحافيين او المصورين ، في داره ، رأوا انه اللباس العسكري قد زال ، وحلت محله الملابس الواسعة المتدلية ، الزاهية الالوان ، التي تراها في الصور المأثورة عن اليابان

وما يصح على رجال الدولة وزعماء الامبراطورية من هذا القبيل يصح كذلك ، على شؤون الحياة العادية الصغيرة والتافهة . ففي الدار اليابانية اليوم جناح من الغرف الاجنبية — قد يكون الجناح غرفة واحدة او بضع غرف — يحتوي على موائد وكراسي وطناقس ، كما تراها في نيويورك او باريس ، ولكن بقية البيت يابانية محضة فأرض الغرف مغطاة بحصر ذهبية اللون ، لا تحدث صوتاً ، اذ تمشي عليها ثم هي خالية من الاثاث ، الا من موقد وطبق وبضع وسائد

او خذ رجل المال والتجارة والعمل . فانهُ يقضي نهاره في مكتبه على كرسي دوّار ، بين الآلات الكاتبة والتليفونات ، والفتيات المختزلات ، وقد يتناول طعام الغداء في ناد فخم ، ويستريح قليلاً بعد الغداء بسماع خطبة لاسلكية في موضوع يهمه ، ولكن اذا انقضى عمل النهار عاد الى داره واستحمّ في حمام خشبي فيه الماء الساخن ، والبخار يعقد فوقه غيوماً كالحمام التركي ، ثم هو يرتدي الملابس الحريرية القفنفاضة ، ويأكل طعاماً يابانيًّا وهو جالس على الارض الى مائدة لا تعلو اكثر من قدم واحدة عن سطحها . اما بناته اللواتي يخفين النهار في مدارسهن او اعمالهن مرتديات الملابس الرسمية

فيحطن به مساء في «كيموناتهن» التفصالة الزاهية، يهززن ويضحكن وهن يشحن شذا الشباب

فالياباني عند ما يعود من مكتبه الى داره، كأنه ارجع عقرب الساعة التاريخية، مائة سنة الى الوراء، ارتد من الحضارة المادية التي اخذ بها — ولكنه لا يجد فيها راحته — الى حضارة لم يبقَ منها الا بعض هذه الآثار التي يتمتع بها. ولكنه مع ذلك يتمتع بكل ما يستطيع ان يتمتع به، فالصحيفة التي قرأ فيها صباحاً اسعار بورصات العالم، يقرأ فيها مساءً قصة من عهد الفروسية اليابانية القديمة، فاذا خرج بأفراد الاسرة الى دور السينما، وجد أمامه في ناحية أفلام هوليوود أو أفلام اليابان الجديدة التي تقتني أثر هوليوود، وفي ناحية أخرى الروايات القديمة حيث لا تدخل البراعث الجنسية على حياة قائمة في صميمها على الاخلاص والامانة. ان الروايات التي من هذا القبيل في اليابان تفوق الروايات الاخرى جميعاً مرتين على الاقل.

﴿ الجذب والدفع ﴾ هذه الثنائية او هذا الازدواج في حياة الياباني، حيث يمتزج تياران مختلفان كل الاختلاف، يتمشى في مختلف نواحي الحياة اليابانية، ونستطيع ان نتبينه، في موقف اليابان نحو اميركا. قال الكاتب — هيو بياس ونظنه ياباني تعلم في اميركا وبكاتب الصحف الكبرى وعليه نعتمد — انه كان ماشياً في طوكيو في ليلة من ليالي الخريف: فسمع اصوات شبان وشابات يتكلمون الانكليزية بلهجة اميركية فالتفت دهشاً فألقى بنظره على المطعم المنير، حيث الصوت الذي استرعاه، فوجد نحو ستين او سبعين من الشبان والشابات، جلوساً في غرفة، وقد أزيل من وسطها كل أثاث توطئة للرقص وكانوا جميعهم يابانيين

كان هذا الجمع، من اليابانيين المولودين في اميركا او الذين تلقوا علومهم هناك، ثم عادوا الى وطنهم، فلما حدثهم الكاتب، قالوا له ان الآراء الشائعة في الاوساط اليابانية عن الحياة الاميركية مستمدة من مشاهدة الافلام الاميركية، وهذه لا تمثل الحياة الاميركية الصحيحة، او هي تمثلها تمثيلاً مشوهاً كل التشويه. والطريقة الوحيدة لتصحيح هذه الآراء، هو تدبير سهرة بريئة على الطريقة الاميركية لكي يفهم اليابانيون ما يقصد «باللهو» Good Time في اميركا، فالذين يريدون ان يفهموا اميركا على صحتها، ليشرفوا سهرتنا

والغريب الذي يبعث على الدهشة، انهُ في الليلة التي كان هؤلاء الشبان يسعون هذا السعي الصالح، كان في اليابان توجس شديد من اميركا، بل ان السياح الاميركيين كانوا يرون عقبات كبيرة في سياحتهم في اليابان، لان اليابانيين كانوا يظنون كل سائح اميركي جاسوساً يحمل في طيات أثوابه الوسائل التي تستبيح أسرار اليابان الحربية. ويقال ان جماعة من السياح، كانوا يطوفون منطقة جبلية، فكان البوليس يعترضهم ثم يفرج عنهم، فطلبوا اخيراً من ادارة البوليس: ان يرافقهم أحد رجال البوليس، من منطقة الى المنطقة التي تليها فيسلمهم للشرطي التالي ويقول له انهُ لا غبار عليهم فلا يعترض سبيلهم بعد ذلك

أمر غريب في القرن العشرين ! كان السياح يطلبون عون البوليس ضد قطاع الطرق في البلدان التي فقد فيها الامن . اما في اليابان ، في تلك الفترة ، فاضطرت هذه الطائفة من السياح الاميركيين ان تطلب معونة البوليس ، للحماية من البوليس ! !

وأغرب من ذلك القصة التالية : ذلك ان لاحد بنوك نيويورك مكاتب في اليابان . وهذا البنك طلب الى فرعه في اوساكا ان يجمع له بضع صور فتوغرافية لاهم مباني اوساكا كما يستعملها في مجموعة تبين سعة نطاق الاعمال المالية التي يقوم بها البنك . فاستدعى المدير مصوراً يابانياً وطلب منه ان يصور له بناية المحافظة والبورصة وغرفة التجارة وغيرها ، فرأى أحد رجال البوليس المصور وظن ان هذه الصور سوف يستعملها سلاح الجو الاميركي ، اذ يهاجم اليابان ويحاول ان يلتقي القنابل على اوساكا فقبض عليه وحقق معه . ولما كان المصور في حدود القانون ، أخلي سبيله ، ولكن القصة تسربت الى الصحف فهول بها ، وهي بنفسها تبين لك ناحية من نفسية اليابان في موقفها نحو اميركا

***

ان التوجس من التجسس امر طبيعي في بلاد كاليابان . فموظفو الحكومة يراقبون للتثبت من انهم يقومون بأعباء مناصبهم ، والرعية تراقب للتثبت من ان افرادها لا يأتمرون بالحكومة . فاذا جاء اجنبي للسكن في اليابان ، زاره رجل من رجال البوليس فيدون اسمه وجنسه وعمره ومسقط رأسه ووعيته واسماء والديه ووالدي زوجته وفي كل شهر يعود رجل البوليس ولو أقام الاجنبي عشرين سنة في اليابان لكي يتأكد من صحة المعلومات التي دونها ، ولكنه في زياراته التالية لا يقابل الاجنبي بأسئلته بل يكتفي بسؤال الخادم

أما الذين تطول اقامتهم ، فيتعودون مجيء رجال الشرطة لسؤالهم عن اعمالهم واعمارهم ودعويتهم ومن أين قدموا والى أين هم ذاهبون ، فيردون عليهم مثل الادب الذي توجه به الاسئلة اليهم ، ويمضون في طريقهم

واما الذين يكونون حديثي العهد بالاقامة في اليابان ، فيحنقهم مثل هذا التصرف ، واذا كانوا اميركيين اعتبروه اهانة موجهة الى كرامة دولتهم . فاذا أساء احد الموظفين الصغار ، لجهل بلغة الاميركيين ، جهل الاميركيين بلغة اليابان ، جعلت الحية قبة ، وذهب الاميركي الذي يعتبر نفسه قد أهين ، لا يحمل لليابانيين الا الحفيظة والا الضغينة

وقد يكون توجس اليابانيين من التجسس ، واشتدادهم في الاقتصاص من الذي ثبتت عليهم التهمة ، او في معاملتهم المشبوهين حتى تثبت براءتهم باعثاً على جفاء العلاقات بين اليابان واميركا . في مثل هذه الحال يخطر لبعض الموظفين او الرعاع ، ان اميركا تبغي التجسس على اليابان وهو لا يدري ان المرسل او السائح العادي المتجول للتفرج يندر ان يتمكن من جمع الحقائق الحربية في خلال تجوله

ولكن الظاهر ، انهُ اذا أصيبت أمة بداء « التوجس من التجسس » فقدت برجهِ عام نظرها السليم ، وحكمها الصائب

اما الاميركيون في اليابان فيصابون بداء مختلف عن داء « التوجس من التجسس » الذي يصاب بهِ اليابانيون . فخوف اليابانيين من تجسس الاميركيين عليهم دائم ، ولكن الاميركيين يفطنون اليه في بعض الاحيان فجأة كأنهم كشفوا شيئاً جديداً خطيراً ، فيروحون يروون الروايات عما أصابهم وأصاب أصدقاءهم منهُ ، ويتخذون من ذلك دليلاً على ان اليابانيين يقتفون الاميركيين. فاذا صدقوا ما يقولون ، فليس أسهل عليهم من ان يعتقدوا ان الحكومة اليابانية من وراء هذا كله ، وانها هي التي تدفع رجال البوليس ليعترضوا سبيل السياح الاميركيين . فيحاولون ان يثيروا الرأي العام على موقف اليابان وسياسة اليابان وعلاقة الحكومة الاميركية باليابان

﴿ لمحة تاريخية ﴾ ظلت علاقات اليابان بأميركا خلال ثلاثين سنة ، بعد ما دخلها الكومندور بيري الاميركي في اواسط القرن التاسع عشر ، متصلة بأميركا صلة يفوح منها عطر الصداقة والولاء . ان تلك السنوات تركت في نفوس شبان ذلك العصر — وقد اصبحوا كهولاً وشيوخاً الآن — اعتقاداً عميقاً بأن اميركا دولة تسمى الى الغايات والمثل العليا . لذلك كان الاخلاص قوي الصلة بين اليابانيين والاميركيين . وهذه الصورة الراسخة في أذهان الكهول والشيوخ عامل فعال في تسهيل الأمور اذ تتعقد بينهما ، في عصر خرجت فيهِ اليابان من طور الشباب والتتلمذ لأميركا وأصبحت دولة قوية لها مطامع الدول القوية ومصالحها

وقد كتب الرئيس فرنكلن روزفلت ، من بضع سنوات مقالاً أثبت فيه ان تغير موقف اليابان نحو اميركا يرجع الى حين احتلت اميركا جزائر الفليبين . عندئذ بدأت الدوائر الحربية والبحرية في اميركا تتحدث في موضوع الدفاع عن هذه الجزائر ، والوسائل لذلك الدفاع ، حالة ان اليابان ، لما رأت أمة غربية تقتحم جيرتها الجنوبية ، استعملت هذا الاقتحام في الدعاية لزيادة أسطولها

على ان الغرض من استعداد اليابان الحربي والبحري حينئذٍ لم يكن اميركا ، بل روسيا . ولما نشبت الحرب بينهما في مطلع هذا القرن كان موقف الرئيس تيودور روزفلت ، موقف عطف على اليابان حينئذٍ

فلما وقعت الحكومة الصينية ، معاهدة سنة ١٩١٥[1] التي اجابت بها مطالب اليابان الصارمة ، أعلنت حكومة الرئيس ولسن ، انها لا تعترف بأي تغيير ، تحدثه المعاهدة يضر بمصالح اميركا . فلما حاول الرئيس ولسن ، في مؤتمر الصلح ، ان يخرج اليابان من شانتنغ (وهي منطقة في الصين كانت ملك المانيا قبل الحرب ، وانتزعتها منها اليابان خلال الحرب ، ولها شأن تجاري وحربي) ظن

(١) معاهدة عقدت بين اليابان والصين بعد انذار نهائي من باب الاولى ، سلمت الصين بمطالبه مرغمة ، وهي ٢١ مطلبا من شأنها تثبيت قدم اليابان على البر الصيني

الاميركيون ان ما يخطط لهن ، انما هو حب بالانسانية ومساعدة الصين على تحرير نفسها ولكنه كان في الواقع خدمة لمصالح التجارة الاميركية في الشرق الاقصى. اما اليابانيون فحسبوا ذلك تمدياً وتدخلاً في منطقة من الشؤون ترجع فيها مصالحهم على مصالح اميركا . فلما عقد مؤتمر وشنطن البحري ، وعاد المستر هيوز — وزير خارجية اميركا حينئذ — الى الموضوع واقنع اليابانيين بأخلاء شانتنغ والغاء معاهدتها مع انكلترا لقاء معاهدتين عقدتا بين الدول ذات الشأن على الاحتفاظ بوحدة الصين وسياسة الباب المفتوح ، ثبت لاميركا حق التدخل في شؤون الشرق الاقصى

***

اما في العهد الحديث فقد راقب اليابانيون ، باهتمام وحذر ، تدخل المستر ستمسن (وزير خارجية اميركا في عهد هوفر) في موضوع الطلاق على منشوريا . فالمستر ستمسن ، كان يدافع عن حرمة المعاهدات المعقودة ، والسلام العام . ولكن اليابانيين ، لشدة انشغالهم بمكافحة المظالم التي يشكون منها ، لم يروا ان اثبات حقوقهم ، في بلاد تجاورهم ولكنها عرضة للفوضى المستمرة ، من طبيعته ان يقلق السلام العالمي . انهم لم يدركوا ، ان الاميركيين لانهم منشوريا ، بقدر ما يهمهم تنظيم السلام العام في الشرق الاقصى حتى تبقى سبل التجارة ميسرة فيه . فخطة وزارة الخارجية الاميركية ، كانت من قبيل التدخل في شؤون الشرق الاقصى ، الذي ايده المستر هيوز ، بمعاهدات ١٩٢٢ اذ أقنع اليابان بالخروج من شانتنغ وإلغاء معاهدتها مع انكلترا وهذا ما يرفضه اليابان الآن

ان جماعة الشبان والشابات اليابانيين الذين كانوا يحاولون أن ينشئوا برفضهم حلقة بين اميركا واليابان ، والحوادث التي قبض فيها على اميركيين بتهمة التجسس ، يمثلان قوتي الجذب والدفع بين اميركا واليابان ، حيث تتوافر المعرفة الشخصية تعقد اواصر الصداقة والثقة والعطف . اما حيث تقتصر العلاقة على الاعمال الرسمية وخطب رجال السياسة في المواقف العامة ، وجهل سفار الموظفين وتسرع الصحف تجد التوجس والحذر والريب

﴿ الحرب والاشاعات ﴾ في ظل هذا التوتر في الصلات الاميركية اليابانية ، بدأ الهمس بحرب تقع في المحيط الهادي . ثم ارتفع الهمس اذ اقدمت اميركا على زيادة اسطولها حتى يصبح حيث تسمح لها به المعاهدات البحرية المعقودة . هنا يتمهد الميدان لاصحاب « العلم اليقين » من مروجي الاشاعات . قال المستر هيوبياس انهُ قبيل كتابة مقاله ، جاءهُ اميركي سأله هل صحيح ما يقال في هنولولو (عاصمة جزائر هواي وهي جزائر تابعة لاميركا في وسط المحيط الهادي) من ان اليابان تستعد لغزو هذه الجزائر . وان هذه الغزوة سوف تكون المرحلة الاولى في حرب اليابان مع اميركا . وقال كذلك انهُ قيل له ان اميركا محتفظة بأسطولها على قدم الاستعداد للنزال في المحيط الهادي استعداداً للطوارئ ، وان ٢٧ الفاً من الجيش سوف يضمون قريباً الى حامية الجزائر

وما يقال في الناحية الاميركية يقال في الناحية اليابانية . فقد زار احد الاميركيين اليابان حديثاً وتعرّف الى اعلى طبقاتها الاجتماعية ، فلاحظ ان كل حديث مع كل ياباني كان يدور حول السؤال الآتي : « هل تقصد اميركا ان تحارب »

ان اليابانيين يسألون، لماذا تريد اميركا أن تتدخل في شأن منشوريا ؟ وهي التي فصلت في مشكلتي كوبا وبناما بالقوة المسلحة . فاذا اجيبوا بان حل المشكلتين الكوبية والبنامية بالقوة تمّ قبل عهدة كلوج ، وان حل مشكلة منشوريا بالقوة تمّ بعدها ، قلب الياباني شفته ولم يزد . ولسان حاله يقول : « لماذا لا تتركوننا وشأننا . اننا لا نتدخل في شؤونكم في اميركا . فلماذا تريدون أن تتدخلوا في شؤوننا في منشوريا »

﴿ حيرة الياباني ﴾ لذلك ترى الياباني متحيراً ، لان الامة التي كان لها اكبر وأوسع نصيب في ترقية بلاده ، هي البلاد التي تتصدى له وتقف في وجهه إذ يحاول ان يوسع ملكه الضيق . ان البلاد التي يعجب بها كل الاعجاب ، ويحسب وسائلها واساليبها آخر وأرقى ما أبدعهُ الانسان ، هي البلاد، التي يخشاها اكثر من جميع البلدان . ويزيد هذه الحيرة اثراً في النفس ان الامة التي تقف في سبيله ، هي اغنى امة على وجه الارض ، غنىً فعليًّا ، وغنى كامناً ، وان بلاده ، هي بالنسبة الى كثرة سكانها ، وجفاء ارضها ، أفقر الامم

لذلك يجب ان نذكر المصاعب التي تواجهها اليابان، إذ تعدّد اخطاؤها

ولكن اذا كانت اليابان قد اتخذت خطة خطيرة ولم تحسب حساباً لاحد — اي مغامرتها في منشوريا — فيجب ان نذكر ، ان اليابان كانت قد بلغت في حراجة موقفها الاقتصادي حد اليأس. ان حالة الصين — بلاد سكانها نحو ٤٠٠ مليون نسمة — المضطربة تثير المخاوف . ماذا تفعل اميركا ، لو كانت الصين مكان كندا ؟ او لو كانت كندا كالصين ، قلقة مضطربة ، فيها بذور الفوضى والثورة والانقلاب ، كالمارد لا تعرف ما تكون الخطوة التالية التي تتخذها

***

لا ريب ان في خطة اليابان خطراً على السلام في الشرق الاقصى ، ولكن اليابانيين يحسّرهم ، ان المصاعب التي يواجهونها، لم تدرس بعطف ، وان الاعمال الجليلة التي اتموها، لم تقدر التقدير الجدير بها . انهم يرون انفسهم بلاداً تحترم الملك الخاص ، والامن العام ، وتنفيذ القانون ، وتحمي الحرية الفردية ، وتؤيد التعليم العام ، ودستورها مبني على اصول برلمانية ، أي انها تحترم المبادىء الاساسية التي تحترمها اميركا . ثم هي ترى نفسها العنصر الوحيد المستقر في قارة ضربت فيها الفوضى — فيدهشها ويؤسفها ان لا تحسبها أميركا الا « الولد الشقي » الذي يجب ان ينهر او ان يؤدب